مجلة الإحياء، المجلد: 20، العدد: 27، نوفمبر 2020، ص - ص: 175 – 196
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

دور الوصل في اتساق النّص القرآني
The Role of conjunction in the Coherence of the Qur'anic text

مصطفى عباس
كلية الآداب واللغات - جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة
abbasmustapha98@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2019/10/02 تاريخ القبول: 2020/10/27

الملخص:
يعد الوصل آلية من آليات الاتساق النّصي؛ حيث إنّه يعمل على الرّبط بين جمل النّص الواحد ربطا إما باللفظ أو بدونه، والوصل مختلف عن كل أدوات الاتساق الأخرى، على غرار الإحالة، والحذف، والاستبدال، والاتساق المعجمي، كونه لا يشير إلى عنصر سابق أو لاحق في الكلام، بل يربط بين جملتين متتاليتين في البناء اللغوي، وللوصل أنواع متعددة يختلف كل نوع منها عن الآخر، إما في كيفية الرّبط (ربطا لفظيا أو دلاليا)، وإما في الوظيفة التي يؤديها في الكلام. ولإظهار دور الوصل في الرّبط بين عناصر النّص الواحد، حاولنا أن نمثّل له بنماذج من القرآن الكريم، كون أن النّص القرآني أرقى النصوص اتساقا وانسجاما، وأكثرها ثراء من حيث وفرة أدوات الاتساق وتنوعها، خاصة الوصل الذي لا تكاد تخلو آية من آياته منه.
الكلمات المفتاحية: النّص؛ الاتساق ؛ الربط ؛ الوصل؛ العطف.

Abstract:
Coordination is one of the cohesive devices in the Arabic language. It links sentences within the text both by using and withaut using words. Coordination stands out from the rest of cohesive devices, such as reference, omission, substitution as well as coherence in that it does not refer to what comes before and after it. It rather connects two consecutive sentence in the text construction process. Further, coordination has a number of types that differ from each other in terms of either the method of connection (by word or by significance), or the function in speech. For the sake of demonstrating the role of coordination in the text, the present work relies on samples from the holy book «Kora'an», considering the fact that it is the most coherent text in Arabic. The Kora'an is also very rich in terms of cohesive devices, especially coordination, which can be found in almost every verse.
Keywords: Text; Coherence; Coordination; Conjunction; Addition.

مقدّمة:

يعد الاتساق من بين أهم المظاهر النصيّة التي اهتم بها علماء لسانيات النّص، على غرار الانسجام، والقصدية، والمقبولية، والإخبارية، والموقفية، والتناص؛ حيث إن الاتساق هو ذلك الربط الحاصل بين عناصر النّص في المستوى السطحي الخارجي، مما يحقق ترابط أجزائه من خلال علاقات الترابط اللفظية، وهي تلك العلاقات النصية الرابطة أو الواصلة بين وحدات النصوص عبر الوسائل الخطية أو القرائن اللفظية. وللاتساق وسائل يتحقق من خلالها في مختلف النصوص، وهي: الإحالة، والاتساق المعجمي، والحذف، والاستبدال، والوصل الذي اخترناه لكي يكون موضوعا لبحثنا، إضافة إلى ربطه بالنص القرآني؛ أي البحث عن آليات الوصل النّصي في القرآن الكريم، ومن هذا يكون الإشكال المطروح هنا: ما مدى مساهمة الوصل في الربط بين جمل النّص القرآني؟ وللإجابة عن هذا الإشكال نحاول أولا الإحاطة بالمفاهيم الأساسية المتعلقة بالوصل، ثم البحث عن أنواع الوصل في النص القرآني وإظهار دوره في كل موضع، هذا البحث كغيره من البحوث يصبو إلى تحقيق مجموعة من الأهداف لعل من أهمها ما يلي:

- إظهار ما مدى مساهمة الوصل في الترابط النصي.
- محاولة الربط بين المفاهيم التراثية والحداثية لآلية الوصل.
- توسيع دائرة البحث في النص القرآني.

1ـ مفهوم الوصل:

يعد الوصل مظهرا من مظاهر اتساق النّص، "وهو مختلف عن كلّ أنواع علاقات الاتساق، وذلك لأنّه لا يتضمّن إشارة موجهة إلى مفترض فيما تقدم أو ما سيلحق، كما هو شأن الإحالة والاستبدال والحذف"[1]، فالوصل هو الجمع بين جملتين متتاليتين، ويكون ذلك برابط لفظي منطقي، وهذا النوع من الربط لا يشبه الأنواع الأخرى في كونه لا يحيل على عنصر مذكور في النّص، إما في السابق وإما في اللاحق، بل هو "تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منتظم، معنى هذا أنّ النّص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطيا، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة

تصل بين أجزاء النّص"[2]، ويتم الوصل بين الجمل بالعطف أو بغيره من الأساليب التي تحقق الترابط بين الجملتين المتتاليتين، وانطلاقا من هذا يمكن تقسيم الوصل إلى عدة أنواع، وصل إضافي وعكسي وسببي وزمني.

2- أنواع الوصل:

2-1- الوصل الإضافي: وهو ذلك النوع من أنواع الربط الذي اصطلح عليه "دي بوجراند" بـ (مطلق الجمع)، حيث "يربط مطلق الجمع صورتين أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينها، إذ تكونان متحدتين من حيث البيئة أو متشابهتين، وتؤدي إلى تكثيف الدلالة، والتخيير بربط صورتين أو أكثر من صور المعلومات على سبيل الاختيار، إذ تكونان متحدتين من حيث البيئة أو متشابهتين"[3].

ويمكن من خلال هذا التصور أن تدرج بعض أدوات العطف[4] في اللغة العربية في باب الوصل الإضافي، حيث يكون الربط بهذه الحروف في أغلب الحالات قرينة لأمن اللبس في فهم الاتصال، وذلك في نحو: جاء زيد وعمرو، وجاء زيد وذهب عمرو، حيث تقوم واو العطف[5] في المثالين بالربط بين مشاركة زيد وعمرو في المجيء في المثال الأول، والربط بين مشاركة زيد وعمرو في المجيء للأول، والذهاب للثاني، حيث ينتفي الاتصال والمشاركة عند حذف الواو؛ حيث إن جملة: (جاء زيد) جملة فعلية مستقلة، وجملة: (ذهب عمرو) جملة فعلية مستقلة، وبزيادة حرف العطف يتحول التركيبان المستقلان إلى تركيب واحد[6]. وما أكثر العطف بالواو في النصوص المنشأة في اللغة العربية عامة، وفي القرآن الكريم خاصة، نختار بعض الآيات للاستشهاد بها في هذا المقام منها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: 4/3]، جاء في تفسير الزمخشري: "فإن قلت: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ أهم غير الأوّلين أم هم الأوّلون؟ وإنما وسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك: هو الشّجاع والجواد؛ وفي قوله [من المتقارب]:

إِلَى المَلِكِ القَرْمِ وابْنِ الهُمَامِ وَلَيْثِ الكَتِيبَةِ فِي المُزْدَحِمْ

... فيكون المعطوف غير المعطوف عليه، ويحتمل أن يراد وصف الأوّلين، ووسط العطف على معنى أنّهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه"[7]. والمتأمل للآيتين السابقتين يدرك أن الاتساق بين أجزائها ظهر في عدة مظاهر، أبرزها وأكثرها العطف بالواو، حيث تجلى العطف فيها على صورتين: عطف آية على آية أخرى، أي وصل الآية الثانية بالآية الأولى، والصورة الثانية: عطف بين جمل الآية الواحدة، الذي ظهر في كلتا الآيتين، فبالإضافة إلى صور الاتساق الأخرى الموجودة في هذا النّص القرآني، ساهم العطف في إحكام الربط المنطقي بين أجزائه.

كما أن العطف بالواو يحقق الجمع بين جمل النّص الواحد، لتظهر على أنها بناء واحد موحد، لا يمكن الاستغناء عنها فيه، وإلا ظهر مفكك الأجزاء، غامض الدلالة، ويظهر هذا في قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمان:7/5]، فسر "الزمخشري" هذه الآيات بذكر سبب الوصل بينها بقوله: "فإن قلت: أي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما بعاطف؟ قلت: إن الشّمس والقمر سماويان، والنجم والشجر أرضيان، فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل، وأن السماء والأرض لا تزالان تذكران قرينتين، وأن جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله، فهو مناسب لسجود النجم والشجر"[8].

وقد ورد في تفسير "التحرير والتنوير" أنّ قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ "عطف على جملة (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) عطف الخبر على الخبر للوجه الذي تقدّم لأن سجود الشمس والقمر لله تعالى وهو انتقال من الامتنان بما في السماء من منافع إلى الامتنان بما في الأرض [...] وعطفت جملة ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ ولم تفصل فخرجت من أسلوب تعداد الأخبار إلى أسلوب عطف بعض الأخبار على بعض، لأن الأخبار الواردة بعد حروف العطف لم يقصد بها التعداد إذ ليس فيها تعريض بتوبيخ المشركين، فالإخبار بسجود النجم والشجر أريد به الإيقاظ إلى أن ما في هذا من الدلالة على عظيم القدرة دلالة رمزية، لأنه لما اقتضى المقام جمع النظائر من المزاوجات بعد ذكر الشمس والقمر، كان ذلك مقتضيا سلوك طريقة الوصل بالعطف بجامع التضاد"[9]، وبهذا

يكون الوصل قد حقق الربط والاتساق بين عناصر الجملة الواحدة إضافة إلى تحقيقه الربط بين الجملة السابقة والجملة اللاحقة ربطا محكما رافقه ربط بين مختلف المعاني التي حملتها الجمل المتتالية؛ بمعنى أن الربط الذي حققه الوصل الإضافي لا يقتصر على الجانب الشكلي فحسب، وإنما تحقق أيضا في الجانب الدلالي بربطه بين مختلف المعاني التي حملتها الجمل المتتالية.

ويظهر العطف بالواو أيضا في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (13) ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ [الأنفال:14/13]، قال الزمخشري: "**(وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ):** عطف على ذلكم في وجهيه، أو نصب على أن الواو بمعنى: مع، والمعنى: ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة، فوضع الظاهر موضع الضمير"[10]؛ حيث إن الاتساق ظهر في الآيتين السابقتين بعدة أدوات، منها الإحالة باسم الإشارة في (ذلك، ذلكم)، والإحالة بالضمير في (بأنهم، شاقوا، رسوله، فذوقوه)، والإحالة باسم الموصل في (من)، أما أداة الوصل فظهرت كوسيلة رابطة بين جمل الآيتين القرآنيتين، حيث إنّ العطف بالواو أحكم الجمع بين مختلف تراكيب النّص القرآني، ليظهر الاتساق النّصي في أكمل صوره، وأرقى مظاهره.

كما يظهر العطف بالواو ـــ على سبيل التمثيل لا الحصر ـــ في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان:32]، ورد الوصل الإضافي في هذه الآية في صورتين:

1ـ ربط الآية بما سبقها من آيات قرآنية "﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: وصل لأنه قيل من أقوالهم، فعطف على ما تقدم من مثله"[11].

2ـ ربط بين جمل الآية "**(كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ)**: الأصل: أنزلناه كذلك، فأوجز بحذف المتعلق لوجود ما يدل عليه في اعتراضهم، وفصل لأنه جواب عن اعتراضهم. **(وَرَتَّلْنَاهُ)**[12]: وصل لأنه معطوف على انزلناه المحذوف"[13].

المتأمل للآية السابقة يدرك أن الترابط الحاصل بين أطرافها، والاتساق بين عناصرها، كان نتيجة تضافر مجموعة من الأدوات، من بينها الوصل في

بدايتها وفي آخرها، فالرابط الأول أحكم اتصالها بالآيات السابقة لها، والرابط الثاني جمع أول الآية بآخرها.

يتحقق الوصل الإضافي بحرف العطف "و" ـ سابق الذكر ـ كما يتحقق بالعاطف "أو"، حيث يتم الربط بالوصل الإضافي بواسطة الأداتين "و" و"أو"[14]، وهذان الحرفان يتفقان في وظيفتيهما، وهي الربط، ويختلفان في طريقة الربط في ذاته، فـ "أو" معناها "أن تكون لأحد الشّيئين، أين كانت وكيف تصرّفت فهي عندنا على ذلك، وإن كان بعضهم قد خفي عليه هذا من حالها في بعض الأحوال، حتّى دعاها إلى نقلها عن أصل بابها"[15]. فمعنى هذا أن بعض النحاة كانوا ينسبون لـ "أو" دلالات يفهمونها من خلال قرائن السياق مقالا ومقاما.

ومن منظور "ابن جني" - أيضا- أن "معنى "أو" الشّك تقول: قام زيد أو عمرو، وتكون تخييرا تقول: اضرب زيداً أو عمراً؛ أي: أحدهما، وتكون إباحة، تقول: جَالس الحسين أو ابن سيرين؛ أي: قد أَبَحتُكَ مُجَالسَـــةَ هَذَا الضَّربَ من النّاس، وأينَ وقعت "أو" فهي لأحد الشّيئين"[16]؛ أي إن معنى "أو" في الكلام يفهم من السياق اللغوي الواردة فيه، فتارة تفيد الشك، والأمر محتمل في ضربين، ويظهر هذا في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات:147]، أي قد بلغت عدتهم إلى أن يقول حازرهم حين يحزرهم مائة ألف أو يزيدون، وقول من قال إن "أو" تأتي بمعنى الواو، فليس بشيء إنما تأتي ليكون الإبهام على المخاطب[17]، بمعنى أنها تقع ليكون المخاطب في شك وحيرة، هل يختار الأول أم الثاني، "(أَوْ يَزِيدُونَ) في مرأى الناظر؛ أي: إذا رآها الرائي، قال: هي مائة ألف أو أكثر، والغرض: الوصف بالكثرة"[18]، وهذا ما يثبت أن الناظر أو المخاطَب يقع في الشك والإبهام وعدم قدرته على إحصاء العدد الثابت، واختيار الطرف المتأكد منه يقينا.

وتارة تفيد التخيير بين هذا أو ذاك، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [النساء:112]، والتقدير: من يكسب أحد هذين ثم يرم به بريئا[19]، أي التخيير بين أمرين حكمهما واحد وهو البهتان، كما جاء على لسان "الزمخشري" في تفسير هذه الآية:

"(خَطِيئَةً): صغيرة، (أَوْ إِثْمًا) أو كبيرة، (ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا): كما رمى طعمة زيدا، (فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا): لأنه بكسب الإثم (آثم) وبرمي البريء (باهت) فهو جامع بين الأمرين"[20]. وتارة أخرى تفيد الإباحة، فالفعل مشروع بوجهيه، ويظهر هذا في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾ [النساء:135]، ولم يقل (الله) أولى به على ما يقتضيه أصل "أو" من أنه لأحدهما، ومن هذا ما أنشد ذلك الرجل من هذيل[21]:

وَكَان سِيَّانِ أَلَّا يَسْرَحُوا نعما أَوْ يَسْرَحُوهُ بِهَا وَاغْبَرَّتِ السُّوْحُ

فجاءت الآية لإباحة الجهاد للفقير والغني، وذلك بتسويته بين درجتيهما، "أي: بالنظر لهما وإرادة مصلحتهما، ولولا أن الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها... فإن قلت: لِمَ ثنى الضمير في (أَوْلَى بِهِمَا) وكان حقه أن يوحد لأن قوله (إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا) في معنى إن يكن أحد هذين؟ قلت: قد رجع الضمير إلى ما دل عليه قوله: (إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا) لا إلى المذكور، فلذلك ثنى ولم يفرد، وهو جنس الغني وجنس الفقير، كأنه قيل: فالله أولى بجنسي الغني والفقير، أي: بالأغنياء والفقراء"[22].

من خلال ما سبق ندرك أن أداة العطف "أو" بمعناها النحوي، تعتبر من وسائل الوصل، الذي يساهم في شد أطراف النّص، وإحكام الرّبط بين عناصره، فاختلاف حالاتها في تحديد المعنى من خلال السياق اللغوي والتركيب اللفظي، يمدّ النّص تماسكا وتلاحما منطقيا لا يمكن أن يظهر بالشكل نفسه في وسيلة وصل أخرى، كما أن الوصل بواسطة الأداة "أو" يحقق ارتباط المعاني وتلاحمها لتجسيد الانسجام الكامل للنص.

ويتحقق الوصل الإضافي بالفاء، التي تعتبر من حروف العطف؛ حيث إنّها "تفيد الترتيب والتعقيب بلا مهلة"[23]، فوقوع الثاني بعد الأول لا يكون إلا وفق ترتيب ثابت، لا يمكن أن يتقدم عليه، لأنه يليه من حيث الزمن، وبهذا فالثاني تابع للأول متعلق به، إذا فالفاء "تجئ لتقدّم الأوّل واتصّال الثاني فيه"[24]، ومن أحكام الفاء العاطفة أنها لا تنفصل عن معطوفها بفاصل اختيارًا، فلابـــد من اتصالهما اتصالا مباشرا، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ

أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:57]، فالفاء في هذه الآية أفادت التعقيب في قوله: (فَأَعْرَضَ عَنْهَا)؛ أي إنّ الإعراض جاء بعد التذكير، ولا فاصل يفصل بينهما، ومثال ذلك - أيضا- قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (26) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (27) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (28) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات:29/26]، من خلال هذه الآيات القرآنية يمكننا تتبع الفاءات العاطفة وما أفادته من معان من خلال سياق النّص القرآني، فمن ذلك نجد أنها قد أفادت الترتيب والتعقيب في كل موضع وردت فيه، وبذلك تكون قد حققت الاتساق بين جمل هذا النص، وربطت بين أجزائه ربطا خطيا دلاليا، كما أنّها حققت ساهمت في تحقيق الانسجام التام بين مختلف المعاني المعبر عنها في النّص القرآني.

ومن الأدوات التي تحقق الوصل الإضافي "ثم"، التي تفيد "الترتيب والمهلة أو التراخي؛ أي: أنّ الحكم يكون للمعطوف عليه أوّلا، ثم يكون للمعطوف على وجود فترة غير وجيزة؛ مثل: حضر زيد ثم عمرو، فأفادت "ثمّ" هنا حضور زيد أوّلا، وحضور عمرو بعده بفترة؛ أي: مع شيء من التّراخي"[25]، فـ "ثم" تشبه الفاء في ترتيبها لعناصر الكلام، وإيرادها وفق سلم منطقي يحكمه التوالي في ذكر الجمل، وتتفرد "ثم" بميزة التراخي؛ أي إن الجملة الأولى متباعدة في زمنها عن الثانية، ويمكن التمثيل لهذا من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:28]، فسر "الزمخشري" هذه الآية بقوله: "فإن قلت: لِمَ كان العطف الأول بالفاء والإعقاب بثم؟ قلت: لأنّ الإحياء الأول قد تعقب الموت بغير تراخ، وأما الموت فقد تراخى عن الإحياء، والإحياء الثاني كذلك متراخٍ عن الموت - إن أريد به النشور- تراخيا ظاهرا، وإن أريد به إحياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه، والرجوع إلى الجزاء - أيضا- متراخ عن النشور"؛ حيث إن الوصل بـ "ثم" - التي أفادت التراخي- في الآية السابقة، اختلف اختلافا ظاهرا عن الوصل بالفاء، التي وردت للدلالة على الترتيب بغير

تراخٍ، وبذلك فثم ساهمت في اتساق النّص وتلاحم أجزائه، من خلال تحقيقها لخاصيتي الترتيب والتراخي.

وقد تفيد "ثم" الاستبعاد؛ أي استبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها، وقد يعبر عن هذه العلاقة بالتفاوت، أي بتفاوت مرتبة ما بعدها عما قبلها[26]، ويمكن التمثيل لذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (84) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...﴾ [البقرة:85/84]، ورد على لسان "الزمخشري" في تفسير هاتين الآيتين: "(ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ) استبعاد لما أسند إليهم، من القتل والإجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم، والمعنى ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون، يعني أنكم قوم آخرون"[27]، فالاستبعاد يعني ارتباط بين الجملتين المتتاليتين في لفظها، وترتيب لفظي منطقي لعناصرها، وبُعد بينهما في المضمون والدلالة، إلا أنّ هذا لا يعني عدم ارتباط العناصر المتباعدة دلاليا بل على العكس من ذلك، إذ إن مختلف المعاني المعبر عنها ظهرت في انسجام تام يقابل ذلك الاتساق الكامل الظاهر على مستوى سطح النص اللفظي.

ويتحقق الوصل الإضافي -أيضا- بواسطة "علاقات أخرى مثل: التماثل الدلالي المتحقق في الربط بين الجمل بواسطة تعبير من نوع: بالمثل... وعلاقة الشرح التي تتم بتعابير مثل: أعني، بتعبير آخر... وعلاقة التمثيل، المتجسدة في تعابير مثل: مثلا، نحو..."[28] ؛ حيث يمكن أن يتحقق الوصل الإضافي وفق التماثل الدلالي بأدوات من شاكلة "كما" التي تظهر التوافق الدلالي بين جملتين مستقلة كل واحدة منهما في معناها عن الأخرى، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف:64]، ورد في تفسير "الزمخشري" قوله: "(هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ) يريد: أنكم قلتم في يوسف، (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ): كما تقولون في أخيه، ثم خنتم بضمانكم، فما يؤمنني من مثل ذلك"؛ أي تأمين يعقوب على بنيامين مع إخوته مثل تأمينهم على يوسف باستخدام أداة التشبيه "كما".

ويتحقق الوصل الإضافي في علاقة الشرح أو التفسير أو التوضيح، وهي علاقة دلالية تربط بين الجملتين المفسَّرة والمفسِّرة، حيث توضح الجملة اللاحقة الجملة السابقة، ويعبر عنها باستعمال أدوات معينة مثل "أي" و"أن"، ومن الأمثلة التي يمكن أن يستشهد بها من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة:86]، فإن "أن" مفسرة لما في الإنزال من معنى القول والوحي[29]، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل:68]؛ حيث إن "الزمخشري" في سياق تفسيره للآية يشير إلى وظيفة "أن" بقوله: " وقرأ يحيى بن وثاب (إلى النحل): بفتحتين، وهو مذكر كالنحل، وتأنيثه على المعنى:(أَنِ اتَّخِذِي) هي: أن المفسرة؛ لأن الإيحاء فيه معنى القول"[30]، فعلاقة التفسير الظاهرة في الآيتين السابقتين حققت الوصل الإضافي، الذي يبرز دوره في تحقيق التماسك والترابط بين أجزاء النص، وغيابه يعني التفكك والانقسام بين جمل وعبارات البناء اللغوي الواحد، وانقسام وتفكك في مختلف المعاني المعبر عنها، إذا فعلاقة التفسير تنعكس على المستوى الدلالي فتحقق الانسجام التام بين المعاني المقابلة لبناء النص، وهذا ما ظهر جليا في الآية القرآنية السابقة؛ حيث ظهر فيها كمال الاتساق وتمام الانسجام في تقابل جعل نصها متلاحم الأطراف شكلا ودلالة.

2-2- الوصل العكسي: وهو النوع الثاني من أنواع الوصل، وهو "الذي يعني عكس ما هو متوقع"[31]؛ أي يُأتى بجملة تالية لجملة أخرى مرتبطة بها بأداة معينة، لكن هذا الربط لا يشبه النوع السابق؛ حيث إن الربط في الوصل العكسي يتم بإيراد جملة مختلفة في معناها عن الجملة السابقة، أو بمعنى آخر تعني عكس الجملة الأولى، ومن الأدوات التي تحقق الوصل العكسي في اللغة العربية: "بل" و"لكن"، أما الأداة "بل" التي تعني "الإضراب عن الأوّل، والإثبات للثاني؛ تقول: قام زيد بل عمرو"[32]، فكأنك باستعمالك لهذه الأداة تنفي وقوع الأول (السابق لها موضعا)، وتثبت وقوع الثاني (التالي لها موضعا)، لكن اختلف النحاة العرب في كون الأول (قيام زيد) منفي أو مثبت، "فجماعة يقولون بنفيه، وجماعة لا يقولون فيه بشيء، ويقولون بل لترك قصة إلى قصة

أخرى كقوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف:48]، فقوله تعالى: ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ "واقع موقع المفعول المطلق المفيد للمشابهة، أي جئتمونا مجيئا كخلقكم أول مرة. فالخلق الثاني أشبه للخلق الأول، أي فهذا خلق ثان. و(ما) مصدرية، أي كخلقنا إياكم المرة الأولى، قال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾. والمقصود التعريض بخطئهم في إنكارهم البعث. والإضراب في قوله: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ انتقال من التهديد وما معه من التعريض بالتغليط، إلى التصريح بالتغليط في قالب الإنكار"[33].

فـ (بل) ها هنا ترك القصة الأولى وأَخْذُ في الثانية، ومثل قوله تعالى:(بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ) [النمل:66]، وصفهم بالكل من هذه الخصال على سبيل ترك الأولى إلى الثانية، وترك الثانية إلى الثالثة"[34].

وقد تحقق "بل" علاقة دلالية أخرى، وهي الإضراب، ويقصد به إما إبطال حكم سابق أو الانتقال إلى غرض آخر[35]، ومعنى الإضراب ترك شيء سابق في الكلام والأخذ بشيء آخر يليه، و"سيبويه" (ت 180ه) وضح ذلك في قوله: " أما (بلْ) فَلِتَرْكِ شيءٍ من الكلام وأَخْذٍ في غيره. قال الشاعر حيث ترك أوّلَ الحديث، وهو أبو ذُؤَيْبٍ:

بَلْ هَلْ أُرِيكَ حُمُولَ الحي غاديةً كالنّحْلِ زَيَّنَها يَنْعٌ وَإِفْصَاحُ

أينع: أدرك. وأفصح: حين تَدْخله الحُمْرةُ والصُّفرة، يعني البُسر"[36].

ومما سبق يمكن تقسيم الإضراب إلى نوعين: إضراب إبطالي؛ وهو نفي حكم سابق في الكلام قبل "بل"، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (4) بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء:5/4]، يقول "الزمخشري" في معرض تفسيره للآيتين السابقتين: "أضربوا عن قولهم سحر إلى أنه تخاليط أحلام، ثمّ إلى أنّه كلام مفترى من عنده، ثمّ إلى أنّه قول شاعر، وهكذا الباطل لجلج، والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد"[37].

ويظهر الإضراب الإبطالي ـ أيضا ـ في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء:26]، فالجملة الأولى في الآية الكريمة السابقة لـ "بل" ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ نفتها الجملة التي جاءت بعد "بل" ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ وأبطلت حكمها.

أما القسم الثاني فهو الإضراب الانتقالي؛ ويقصد به الترك والانتقال من غير إبطال، وهذا ما قال به "ابن مالك" في شرح الكافية، فإذا كان الواقع بعدها جملة فهي للتنبيه على انتهاء غرض واستئناف غيره[38]؛ أي الإضراب الانتقالي لا يُنفى فيه الشيء السابق بل يُنتقل به إلى شيء آخر يليه، ومثال ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (1) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق:2/1]، ففي قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾: تبدأ الجملة بأداة دالة على الإضراب، والإضراب هنا يفيد الانتقال؛ حيث إن "العكبري" قال في "بل" أنها تفيد الخروج من قصة إلى قصة، وهذا الإضراب لا يعني انقطاع النّص، بل هو لليقظة والاهتمام على بدأ حديث كأنه جديد عن عجبهم واستنكارهم لما جاءهم به رسولهم في القرآن المجيد من أمر البعث والخروج[39].

إن الأداة "بل" أداة تعمل على تحقيق الوصل العكسي في الكلام، سواء أفادت الإضراب الإبطالي أو الإضراب الانتقالي، فإيرادها في بناء لغوي ما لتحقق الترابط بين جملة سابقة وجملة تالية لها، وهذا الترابط والتلاحم بين الجملتين لا يتحقق على مستوى البناء اللفظي فقط، وإنما يتحقق على المستوى الدلالي أيضا، والجملة التالية لـ "بل" إما أن تكون مرتبطة دلاليا مع الجملة السابقة وفق علاقة النفي المحققة بالأداة "بل"، وإما أن يكون الرابط الدلالي بين الجملتين هو الانتقال من معنى إلى معنى آخر.

ومن الأدوات اللفظية التي تحقق الوصل العكسي "أم" المنقطعة التي تشبه الأداة "بل" في كونها تفيد الإضراب، ويظهر الإضراب من تسميتها (منقطعة)، والانقطاع هو "الإضراب عن كلام سابق واستئناف كلام جديد"[40]، ويمكن التمثيل لـ "أم" من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل:20]، فالنبي سليمان - عليه السلام-

"نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره، فقال: ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لستار ستره أو غير ذلك، ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول: أهو غائب؟ كأنه يسأل عن صحة ما لاح له. ونحوه قولهم: إنها لإبل أم شاء"[41]، إن "أم" في النّص تحقق ذلك الترابط المحكم بين جملتين، إحداهما سابقة والأخرى لاحقة لها، وهذا الترابط الحاصل بين الجملتين يظهرهما على أنهما بناء واحد موحد، رغم أن معنى الأولى منقطع عن معنى الثانية.

ويتحقق الوصل العكسي ـ أيضا ـ بالأداة "لكن" التي تفيد الاستدراك[42]، وهو "يعني تعقيب الكلام بنفي ما يتوهم ثبوته أو إثبات ما يتوهم نفيه، أو رفع ما يتوهم من الكلام السابق رفعا تشبيهيا بالاستثناء، ومن ثم قدّر الاستثناء المنقطع بـ (لكن)"[43] ، فالأداة "لكن" توضع بين شيئين متنافيين متضادين في دلالتهما، وبذلك يربط الشيء بعكسه، وتتم الصلة بين الجملتين، ويتحقق المعنى الذي لا يتحقق إلا بهذه الأداة، وقد وردت "لكن" في عدة مواضع في القرآن الكريم نختار منها قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (165) لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:166/165]، فالرابطة اللفظية التي حققت الوصل العكسي في هذه الآية هي الأداة لكن، التي عبرت عن العلاقة الدلالية المتمثلة في الاستدراك، وقد فسر "الزمخشري" معناها في الآية السابقة بقوله: "فإن قلت: الاستدراك لا بد له من مستدرك، فما هو في قوله: (لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ)؟ قلت: لما سأل أهل الكتاب بإنزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله: (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) قال: (لكن الله يشهد)، بمعنى أنهم لا يشهدون لكن الله يشهد"[44]، فالملاحظ للآيتين السابقتين، وتفسير "الزمخشري" يدرك أن "لكن" وردت لتحقق نفي الشهادة عن أهل الكتاب وتثبتها في الجملة التي بعدها (الله يشهد)، وبذلك تحقق ربط السابق باللاحق، وظهر الاتساق بوسيلة من وسائله، في صورة مثالية جامعة لأمرين متضادين، كما انعكس هذا التلاحم على الجانب الدلالي للآية الكريمة، حيث ظهرت

المعاني في انسجام تام، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أنّ الاتساق التام يؤدي إلى انسجام كامل بين مختلف معاني الجمل.

2-3- الوصل السببي: هو النوع الثالث من أنواع الوصل، وهو الذي "يمكّننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر... وتندرج ضمنه علاقات خاصة كالنتيجة والسبب والشرط"، وهذه العلاقات المنطقية تولد بين الجملتين تلاحما واتصالا بغير الأدوات اللفظية، فمثلا النتيجة - المُضمّنة في الجملة الثانية- لا تكون إلا بوجود السبب - المضمّن في الجملة الأولى- فهما وجهان لا يتم الوصل السببي إلا بهما، وما سمي سببيا إلا لهذه العلة.

والنتيجة أو التَّرتُّب علاقة دلالية رابطة بين الجمل يمكن التمثيل لها من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:89]، فالجملة في قوله تعالى: ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ نتيجة لما قبلها مترتبة عليها، كما تظهر النتيجة -أيضا- في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (10) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان:11/10]، فالفاء في قوله تعالى: **(فَوَقَاهُمُ اللَّهُ)** سببية، أي: فبسبب خوفهم وقاهم الله: أي دفع عنهم شر ذلك اليوم[45].

إذا العلاقة الموجودة بين الجملتين المترابطتين في الوصل السببي (السبب والنتيجة)، هي علاقة النتيجة بسببها؛ حيث إن المتأمل للآيتين السابقتين يدرك أن الجملة الأولى ترتبط بالجملة الثانية ارتباطا دلاليا منطقيا، استغني فيه عن الرباط اللفظي الخطي لوجود علاقة اتصال أقوى في ربطها منه.

كما يتم الوصل السببي عن طريق علاقة الشرط، إما بأدوات الشرط اللفظية[46]، وهي الكلمات التي تستعمل في الشرط إما حروف أو أسماء منها: (إن، إذما، لو)[47] ، والشرط هو عبارة عن "أسلوب لغوي، ينبني على جزأين، الأول: منزل منزلة السبب، والثاني: منزل منزلة المسبب، يتحقق الثاني إذا تحقق الأول، وينعدم الثاني إذا انعدم الأول، لأن وجود الثاني معلق على وجود الأول"[48]، إذا فجملة الشرط تتكون من عبارتين تتصل الثانية بالأولى اتصالا تاما، لا يمكن الفصل بينهما وإلا اختل المعنى وفسد، حيث تسمى الأولى شرطا، وتسمى الثانية جوابا. وأمثلة أسلوب الشرط في القرآن الكريم كثيرة ومتعددة

نكتفي في هذا المقام بإيراد مثال واحد وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ [البقرة:23]، فسر "الزمخشري" هذه الآية بقوله: "فقيل: إن ارتبتم في هذا الذي وقع إنزاله هكذا على مهل وتدريج، فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه، وهلموا نجما فردا من نجومه: سورة من أصغر السور، أو آيات شتى مفتريات، وهذه غاية التبكيت، ومنتهى إزاحة العلل"[49]، فأداة الشرط التي جاءت في مطلع الآية هي التي جعلت أسلوبها شرطيا يقتضي وجود الشرط والجواب والرابط المتمثل في الفاء التي ربطت الشرط بجوابه، وبهذا ظهر التلاحم والاتصال بين الجملتين المتتاليتين.

وقد تُضمن علاقة الشرط في الكلام دون حاجة إلى أدوات لفظية تدل عليها؛ حيث إنها "تقوم بين عنصرين في السياق النّصي تجعل العنصر الثاني بمنزلة جواب الشرط للعنصر الأول وإن خلا العنصر الثاني من العلامات اللفظية الدالة على هذه العلاقة"[50]؛ أي إن الجملة الثانية مرتبطة بالجملة السابقة لها ارتباطا دلاليا غير لفظي، وهذه العلاقة الرابطة تجعل بين الجملتين تلازما يشبه في ذلك العلاقة الموجودة بين الشرط وجوابه، ومن الأمثلة الدالة على هذه العلاقة في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء:153]. أي: إن استكبرت ما سألوه منك يا محمد ﷺ فقد سألوا موسى أكبر من ذلك.

وتظهر هذه العلاقة -أيضا- في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة:219]. أي: إذا سألوك يا محمد عن الخمر والميسر فقل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما[51].

من خلال ما سبق يمكن القول أن الوصل السببي يُتوسل لتحقيقه بوسائل لفظية خطية، أو يتحقق بعلاقات دلالية تربط بين الجمل ربطا بيانيا دون الحاجة إلى ألفاظ خاصة في ذلك، وهذا الربط لا يكون على مستوى بناء النّص فقط، وإنما يشمل أيضا مختلف المعاني المعبر عنها، والتي تظهر في تلاحم وانسجام تام.

2-4- الوصل الزمني: هو آخر نوع من أنواع الوصل، وهو عبارة عن "علاقة بين أطروحتي جملتين متتابعتين زمنيا"، حيث يتم الربط بين الجملتين المتتاليتين برابط لفظي زماني، وهذا الرابط يحدد الزمن الذي تدرج فيه المتتالية الجملية، ويمكن القول -أيضا- أن علاقة العليّة والزمانية مهمتين في الترابط النصي، فهي علاقة سببية وعلاقة زمنية من ناحية أخرى، وكثرة التلاحمات الدالة على العليّة والزمانية تظهر أهمية هاتين العلاقتين لتنظيم النص[52]. ويتم هذا الوصل باستعمال أدوات خاصة من مثل: حين، وقت، ساعة، يوم... إلخ.

ومن أمثلة الوصل الزمني في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآَنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة:101]، قال محمد الطاهر بن عاشور في تفسير هذه الآية: "وقوله ﴿حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآَنُ﴾ ظرف يجوز تعلقه بفعل الشرط، وهو (تَسْأَلُوا)، ويجوز تعلقه بفعل الجواب وهو (تُبْدَ لَكُمْ)، وهو أظهر إذ الظاهر أنّ حين نزول القرآن لم يجعل وقتا لإلقاء الأسئلة بل جعل وقتا للجواب عن الأسئلة. وتقديمه على عامله للاهتمام، والمعنى أنّهم لا ينتظرون الجواب عمّا يسألون عنه إلا بعد نزول القرآن"[53]. في الآية الكريمة ربط اللفظ "حين" الجملة السابقة بالجملة التالية له، ووضعهما في إطار زمني معين؛ حيث إن الجملة الأولى لا يتم معناها الدلالي إلا باقترانها بالجملة الثانية، ويظهر الوصل الزمني -أيضا- في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل:06]، حيث يظهر الترابط النصي في هذه الآية في مظهرين: الأول يكمن في اللفظ "حين" الذي حقق الوصل الزمني بين جملة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ وجملة (تُرِيحُونَ)، والمظهر الثاني يكمن في تكرار لفظ "حين" الذي عاد على النص بشدّ لأطرافه وتأكيد لدلالته ومعاني جمله. كما يظهر الوصل الزمني بلفظ آخر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [يس:20]، حيث ربط لفظ "يوم" بين جملة ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾ وجملة ﴿الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ ربطا لفظيا زمانيا. والأمر نفسه يظهر أيضا في قوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ

مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة:03]؛ حيث إن اللفظ "يوم" وضع النّص في إطاره الزمني المحدد، وربط جملة ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ﴾ بما يليها ربطا زمنيا خطيا.

يتبيّن لنا مما سبق أن الوصل باختلاف أنواعه يعتبر وسيلة مهمة من وسائل الاتساق النّصي؛ حيث إن جمل النّص الواحد تجمع بواسطة نوع من أنواع الوصل، فلا يمكن أن تجد نصا يخلو منه؛ إذ إن النصوص وإن اختلفت أنواعها وأغراضها ودلالاتها، إلا أنها تشترك في بعض آليات تماسكها، والنّص الواحد تجد فيه تباينا في أنساق جمله وأشكال تراكيبه، وهذا التباين يستدعي تنويعا في آليات التماسك والترابط المُعتَمَد عليها، فتارة يكون المنتج في حاجة إلى الوصل بالعطف والإضافة، وتارة أخرى يكون في حاجة إلى الوصل بالاستدراك أو بالإضراب أو بالانقطاع أو بغيرها من الآليات اللفظية وغير اللفظية، فالمتأمل لأنواع الوصل سابقة الذكر يدرك أن كل نوع له الآلية الخاصة به التي يُحكم بواسطتها ربط الجمل، فالوصل الإضافي يتم بعدة حروف أغلبها حروف عطف، حيث يكون الربط بهذه الحروف في أغلب الحالات قرينة لأمن اللبس في فهم الاتصال، وهذا النوع من الوصل يحقق الجمع بين جمل النّص الواحد الذي لا يمكن أن تتحقق نصيته إذا غاب عنصر الربط بين جمله، أما الوصل العكسي فيختلف عن الإضافي في أنه يتم بإيراد جملة مختلفة في معناها عن الجملة السابقة، أي إن مضمون الجملة الأولى ينفيه مضمون الجملة الثانية التالية لها، ولا يكون ذلك إلا بأدوات معينة هي التي تحقق الوصل العكسي، وبذلك يظهر النّص في شكل لحمة واحدة رغم اختلاف الجملتين المتتاليتين في المعنى، أما الوصل السببي فيحقق الربط بين الجمل في النص الواحد إما بعلاقات منطقية كالنتيجة والسبب والشرط، وإما عن طريق أدوات الشرط اللفظية، أما الوصل الزمني فيتم الربط فيه الجملتين المتتاليتين برابط لفظي زماني، وذلك عن طريق تحديد الزمن الذي يمكن أن تدرج فيه المتتالية الجملية.

إن كل نوع من الأنواع السابقة للوصل يمكن ملاحظتها في مختلف النصوص، كما يمكن قياس مدى اتساق نص معين بحسب درجة اعتماد صاحبه على الوصل في الربط بين جمله، لكن المتأمل للنّص القرآني يدرك أنّه نص كامل البناء والتركيب، جميل في ألفاظه ومعانيه، شامل لكل آليات الاتساق والانسجام، فإذا اخترنا الوصل على سبيل المثال وجدنا أنه الرابط الذي لا تكاد تخلو أي آية من آيات القرآن الكريم منه، بل نجد الوصل في أغلب المواضع يتكرر ويتنوع في صورة ربانية معجزة، صورة جامعة لأنواع الوصل، مصورة مثالية الاتساق النّصي.

خاتمة:

يعد هذا البحث قطرة من بحر واسع كونه تناول بالبحث والتحليل عنصرا من عناصر الاتساق وهو الوصل، وكونه أيضا خص بالتمثيل بعض الآيات دون غيرها لعدم سعة المجال لذكر كل آيات القرآن الكريم، حيث توصلنا من خلال هذا البحث إلى جملة من النتائج نذكر أبرزها فيما يلي:

- يعد الوصل آلية من آليات الربط النصي الذي يتحقق بطرق مختلفة، فكل أداة ربط واصلة تختلف عن غيرها من الأدوات المنتمية لنوع واحد من أنواع الوصل، وكل نوع وصل يختلف عن النوع الآخر في الأدوات المعتمد عليها.
- إن المتأمل لأدوات الوصل الإضافي مثلا، ربما يخيل إليه أنّها ذات طريقة واحدة للربط، إلا أنّها في الحقيقة تختلف اختلافا جزئيا، أو تاما في بعض الأحيان.
- إن الوصل آلية اتساق يمكن ملاحظتها في مختلف النصوص، كما يمكن قياس مدى اتساق النّص بقدر استعانة صاحبه على الوصل.
- يعد النّص القرآني أكمل النصوص لذا لا يمكن أن نجد نصا قرآنيا خاليا من آليات الوصل النّصي.
- تتداخل أنواع الوصل في الاستعمال، وهذا ما سجلناه في عديد النصوص القرآنية التي طبقا عليها وبحثنا في مضامينها؛ حيث يمكن أن نجد أكثر من نوع للوصل في آية قرآنية واحدة.
- لا يكتفي الوصل بالربط اللفظي بين الجمل في النّص الواحد، بل يربط أيضا بين المعاني المحمولة في هذه الجمل، وبهذا يتحقق الربط اللفظي المنطقي، كما يتحقق في الوقت نفسه الانسجام بين الدلالات والمعاني.

والوصل بتعدد أنواعه واختلافها يفضي على النص ترابطا والتحاما لا يمكن أن يتحقق بغيابه، كما لا يمكن أن تتحقق مختلف المعاني والدلالات في حال إسقاط أدواته من النّص، وكما هو معلوم أن الترابط اللفظي يقابله ترابط دلالي، فحدوث خلل في المستوى اللفظي السطحي للنّص يقابله خلل في المستوى الدلالي المعنوي،إذا

فقيمة الوصل في النّص تشبه قيمة الميلاط في البناء إذا شبهنا النّص بالجدار الذي لا يمكن أن يستوي إلا إذا ربط بين لبناته برابط يجعلها تبدو كشكل واحد موحد، كذلك النص المشكّل من مجوعة جمل مختلفة في معانيها، لا يمكن أن تجتمع في نص واحد إلا إذا وُصل بينها بأداة وصل معينة، سواء كان هذا الرابط لفظيا أو معنويا.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1- أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 2014م.

2- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت 180هـ)، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجى، ط 3، القاهرة، 1408ه/1988م.

3- أبو بكر محمد بن السّري البغدادي بن السرّاج،(ت 316هـ)، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مطبعة سلمان الأعظمي، دط، بغداد، 1973م.

4- تمام حسان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 1428هـ/2007م.

5- حسام البهنساوي، أنظمة الربط في العربية، دراسة في التراكيب السطحية بين النحاة والنظرية التوليدية التحويلية، مكتبة زهراء الشرق، ط1، القاهرة، مصر، 1423هـ/2003م.

6- أبو الحسن علي بن علي الحسين الباقولي (ت 543هـ)، شرح اللمع للأصفهاني، تح: إبراهيم بن محمد أبو عباة، جامعة الإمام بن مسعود الإسلامية، دط، المملكة العربية السعودية، 1411هـ/1990م.

7- الحسين بن قاسم المرادي، (ت 749هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العالمية، ط1، بيروت، لبنان، 1413هـ/1992م.

8- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 1418هـ/1998م.

9- أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ت 207هـ)، معاني القرآن، تح: محمد عليّ النّجار وأحمد يوسف نجاتي، دار الكتب المصريّة، دط، القاهرة، 1955م.

10- عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، تح: أبو عبد الرحمان محمود، دار الرشيد، ط1، الجزائر، 1430هـ/2009م.

11- عبده الراجحي، التطبيق النحوي، دار المعرفة الجامعية، ط2، الإسكندرية، 1420هـ/2000م.

12- أبو الفتح عثمان بن جنّي(ت 392هـ)، اللّمع في العربية، تح: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، دط، الكويت، 1972م.

13- أبو الفتح عثمان بن جني(ت 392هـ)، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، دط، القاهرة، 1956م.

14- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ)، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض، 1418هـ/1998م.

15- محمد حماسة عبد اللطيف وأحمد مختار عمر ومصطفى النحاس زهران، النحو الأساسي، دار الفكر العربي، دط، القاهرة، 1417هـ/1997م.
16- محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي، ط1، بيروت، 1991م.
17- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، دط، تونس، 1984م.
18- المخزومي، في النحو العربي (نقد وتوجيه)، دار الرائد العربي، ط2، بيروت، لبنان، 1406هـ/1986م.

الهوامش:

[1]- محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي، بيروت، ط1، 1991م، ص 22.

[2]- المرجع نفسه، ص 23.

[3]- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1418هـ/1998م، ص 346.

[4]- استعمل الفرّاء مصطلحات عديدة ومتنوعة في كتابه "معاني القرآن" للتّعبير عن العطف بالحرف، منها مصطلح النّسَق. لكنّه لا يلتزم بهذا المصطلح وحده في التّعبير عند العطف بالحرف، وإنّما سمّاه أحيانا "الرَّدَّ". والمعطوف يسمّيه "المَرْدُود"، وأحيانا أخرى نجده يطلق عليه - العطف بالحرف- اسم "العطف"، وهي التسميّة التي تداولها البصريون وكذلك نجده عبّر عنّه بكلمة "الإتْباع"، وكذا بكلمة "الكَرّ". (ينظر: أبو زكرياء يحيى بن زياد الفرّاء (ت 207هـ)، معاني القرآن، تح: محمد عليّ النّجار وأحمد يوسف نجاتي، دار الكتب المصريّة، دط، القاهرة، 1955م، ج1، ص 44).

[5]- معنى الواو إفادة مطلق الاشتراك والجمع في المعنى بين المتعاطفين، حيث نجد "ابن جنّي" (ت392 ه) قد عرّفها بقوله: فمعنى الواو للاجتماع، نقول: قام زيد وعمرو أي: اجتمع لهما القيام، ولا يدري كيف ترّتب حالهما فيه. (ينظر: أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت 392هـ)، اللّمع في العربية، تح: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، دط، الكويت، 1972م، ص 91).

[6]- ينظر: حسام البهنساوي، أنظمة الربط في العربية، دراسة في التراكيب السطحية بين النحاة والنظرية التوليدية التحويلية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 1423هـ/2003م، ص 23.

[7]- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ)، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض، 1418هـ/1998م، ج1، 155/156.

[8]- المرجع نفسه، ج6، ص 6.

[9]- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، دط، تونس، 1984م، ج27، ص 335/336.

[10]- المرجع نفسه، ج2، ص 563/564.

[11]- عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، تح: أبو عبد الرحمان محمود، دار الرشيد، ط1، الجزائر، 1430هـ/2009م، مج2، ص 53.
[12]- (وَرَتَّلْنَاهُ) معطوف على الفعل الذي تعلق به، كأنه قال: كذلك فرقناه ورتلناه. ومعنى ترتيله: أن قدره آية بعد آية، ووقفة عقبة وقفة. ويجوز أن يكون المعنى: وأمرنا بترتيل قراءته. (ينظر: الزمخشري، الكشّاف، ج4، ص 348).
[13]- عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، ص 53.
[14]- ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 23.
[15]- أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ)، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، دط، القاهرة، 1956م، ج2، ص 457.
[16]- ابن جني، اللمع في العربية، ص 92.
[17]- ينظر: أبو الحسن علي بن علي الحسين الباقولي (ت 543هـ)، شرح اللمع للأصفهاني، تح: إبراهيم بن محمد أبو عباة، جامعة الإمام بن مسعود الإسلامية، دط، المملكة العربية السعودية، 1411هـ/1990م، ج1، ص 578.
[18]- الزمخشري، الكشّاف، ج5، ص 231.
[19]- ينظر: أبو الحسن علي بن علي الحسين الباقولي، شرح اللمع للأصفهاني، ج1، ص 578.
[20]- الزمخشري، الكشّاف، ج2، ص 147.
[21]- ينظر: أبو الحسن علي بن علي الحسين الباقولي، شرح اللمع للأصفهاني، ج1، ص 578.
[22]- الزمخشري، الكشّاف، ج2، ص 162.
[23]- أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2014م، ص 173.
[24]- أبو بكر محمد بن السّري البغدادي بن السرّاج (ت 316هـ)، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مطبعة سلمان الأعظمي، دط، بغداد، 1973م، ج2، ص 56.
[25]- عبده الراجحي، التطبيق النحوي، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط3، 1431هـ/2010م، ص 397.
[26]- ينظر: أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص 176.
[27]- الزمخشري، الكشّاف، ج1، ص 292/291.
[28]- محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 23.
[29]- ينظر: أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص 188.
[30]- الزمخشري، الكشّاف، ج3، ص 450.
[31]- محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 23.
[32]- أبو الفتح عثمان بن جني، اللّمع في العربية، ص 93.
[33]- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص 337/336.
[34]- أبو الحسن علي بن علي الحسين الباقولي، شرح اللمع للأصفهاني، ج1، ص 581/580.
[35]- ينظر: أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص 177.

[36]- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت 180هـ)، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، 1408ه/1988م، ج4، ص 223.
[37]- الزمخشري، الكشّاف، ج4، ص 129.
[38]- ينظر: الحسين بن قاسم المرادي (749هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العالمية، ط1، بيروت، لبنان، 1413هـ/1992م، ص 236/235.
[39]- ينظر: أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص 179.
[40]- المرجع نفسه، ص 181.
[41]- الزمخشري، الكشّاف، ج4، ص 445.
[42]- يأتي النظر إلى الاستدراك في ضوء التعارض، ولكنه أضعف من التخيير في هذا الصدد، وذلك أن الموقفين أو الحديثين أو أي أمرين آخرين يعدان في ذواتهما غير قابلين أن يجتمع أحدهما بالآخر ولكنهما مع ذلك يوجدان في عالم نص واحد.(ينظر: روبرت دي بوجراند، النّص والخطاب والإجراء، ص 329).
[43]- أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص 182.
[44]- الزمخشري، الكشّاف، ج2، ص 180.
[45]- ينظر: أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص 186.
[46]- حروف الشرط تقتضي جملتين إحداهما مترتبة على الأخرى. (ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف وأحمد مختار عمر ومصطفى النحاس زهران، النحو الأساسي، دار الفكر العربي، دط، القاهرة، 1417هـ/1997م، ص 223.
[47]- ينظر: عبده الراجحي، التطبيق النحوي، دار المعرفة الجامعية، ط2، الإسكندرية، 1420هـ/2000م، ص 71.
[48]- مهدي المخزومي، في النحو العربي (نقد وتوجيه)، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1406هـ/1986م، ص 284.
[49]- الزمخشري، الكشّاف، ج1، ص 218.
[50]- تمام حسان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1428هـ/2007م، ص 311.
[51]- ينظر: أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص 251.
[52]- ينظر: روبرت دي بوجراند، النّص والخطاب والإجراء، ص 350.
[53]- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج7، ص 68.